مفهوم التقريب عند آية اللّه الشيخ التسخيري

د. السيد محمد الغريفي

آية الله الشيخ محمد علي التسخيري (رحمه الله) شخصية بارزة في عالمنا الإسلامي المعاصر، نشأت في حوزتي النجف وقم العلميتين، تولى مناصب ثقافية متعددة في الجمهورية الإسلامية. من أبرزها التي كان له دورٌ مؤثرٌ فيها: الوكيل الدولي لمنظمة التبليغ الإسلامي (١٩٨١-١٩٩١)، الأمين العام لمجمع أهل البيت (ع) العالمي (لمدة ٩ سنوات)، الوكيل الدولي لمكتب القائد المرشد (١٩٩٠ - ١٩٩٦)، رئيس منظمة الثقافة والعلاقات الإسلامية (منذ بدء التأسيس في العام ١٩٩٤ إلى ٢٠٠١)، الأمين العام للمجمع العالمي لتقريب المذاهب الإسلامية (٢٠٠١ إلى ٢٠١٢)، عضو في مجلس خبراء القيادة، ومستشار قائد الثورة الإسلامية الإمام الخامنئي (دامت بركاته) في شؤون التقريب بين المذاهب. وعضواً في عشرات المؤسسات والمنظمات الثقافية الأخرى، وكذلك فعاليته في بعض المؤسسات الخارجية، مثل رابطة علماء المسلمين في مكة، ومجمع الفقه الإسلامي في جدة، التابع لمنظمة التعاون الإسلامية. وكان أيضاً نائب رئيس الاتحاد العالمي لعلماء الإسلام وعضواً في مجمع اللغة العربية في دمشق.

والسمة البارزة للفقيد التسخيري بأنه كان رمزاً في مجال "الوحدة" و"التقريب" بين أتباع أهل البيت (ع) ومسلمي العالم. كان نجماً ساطعاً متميزاً في اجتماعات ومؤتمرات مجمع الفقه الإسلامي - التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي - اتحاد علماء المسلمين، المجمع العالمي لتقريب المذاهب الإسلامية، رابطة العالم الإسلامي، ومئات المؤتمرات الإسلامية الداخلية والخارجية الأخرى.

حيث يرى (رحمه الله) بأن المراد من مصطلح التقريب بين المذاهب يوضح هو: (إيجاد التقارب بين وجهات النظر بين المذاهب على طريق الاخوة الإسلاميّة فينبغي لاتباع المذاهب الإسلاميّة المختلفة - رغم وجود الاختلافات المذهبية فيما بينهم - أن ينظر أحدهم إلى الآخر نظرة المسلم لأخيه؛ يرعى حقوق الاخوة الدينية وكذلك العمل على إزالة الحواجز النفسية المصطنعة، فالتقريب أذن لا يعني التذويب ولا التخريب بمعنى اندماج مذهب في المذاهب

الأخرى، ولا هجوم مذهب على مذهب آخر).. تنطلق رؤيته هذه من تجربة (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية) الذي انطلق من القاهرة في النصف الثاني من الأربعينيات القرن الماضي، واستمر فاعليته حتى مطلع السبعينيات. حيث عرف مصطلح التقريب بين المذاهب في نظامه الأساسي: (العمل على جمع كلمة أرباب

السمة البارزة للفقيد التسخيري بأنه كان رمزاً في مجال "الوحدة" و"التقريب" بين أتباع أهل البيت (ع) ومسلمي العالم. كان نجماً ساطعاً متميزاً في اجتماعات ومؤتمرات مجمع الفقه الإسلامي - التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي - اتحاد علماء المسلمين، المجمع العالمي لتقريب المذاهب الإسلامية، رابطة العالم الإسلامي، ومئات المؤتمرات الإسلامية الداخلية والخارجية الأخرى.

المذاهب الإسلامية، الذين باعدت بينهم آراء لا تمس العقائد التي يجب الإيمان بها).

كما أوضح هذا المصطلح الشيخ محمد أبو زهرة أحد الرواد الأوائل للتقريب: (لسنا نقصد بمحو الطائفية محو المذهبية، وإدماج المذاهب الإسلامية في مذهب، فإن ذلك لا يصح ولن يكون عملا ذا فائدة، لأن إدماج المذاهب في مذهب ليس عملا علمياً يحمد عند العلماء، فإن كل مذهب مجموعة من المعلومات أقيمت على مناهج تتجه في مجموعها إلى النصوص الإسلامية والبناء عليها، وهو ثمرات جهود لأكابر العلماء في هذا المذهب، وكل إدماج فيه إفناء، وليس من المصلحة العلمية في شيء إفناء تلك الجهود الفكرية التي قامت في ظل القرآن والسنة والصحيحة الثابتة، بل يجب أن تكون كل الجهود قائمة على أصولها، يرجع إليها، ويختار منها عند العمل أصلحها للبقاء، أو أكثرها ملاءمة للأزمان، أو أقواها اتصالا بالقرآن، مع بقاء المصدر في موضعه يرجع إليه).

كما عرف مصطلح التقريب بين المذاهب (المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية) الذي كان يرأسه الفقيد الراحل الشيخ التسخيري، حيث ورد في نظام تأسيسه سنة ١٩٩٠م في طهران ،التعريف التالي: (التقارب بين أتباع المذاهب الإسلامية بغية تعرف بعضهم على البعض الآخر، عن طريق تحقيق التآلف والأخوة الدينية، على أساس المبادئ الإسلامية

المشتركة الثابتة والأكيدة).

وقد عرف أيضاً هذا الاصطلاح (التقريب بين المذاهب) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بأنه: (وسيلة لجمع الشمل، ورأب الصدع، وتبادل حسن الظن والتقدير بين أبناء الملة الإسلامية الواحدة، من أجل صيانة وحدة الأمة الإسلامية، والحفاظ على مقاصد الشريعة التي تقر وتحفظ مصالح الجميع). ومن الأمثلة التطبيقية للتقريب بين المذاهب: العمل على تشخيص المسائل والقضايا المشتركة بين المذاهب، والمسائل المتفق عليها في مجال العقيدة والفقه، كما يقصد به السعي لإيجاد طرق وفاق بين المسائل الخلافية، من منظور التقارب وحسن التفاهم، وبما يوضح الفروق بين المسائل الخلافية الفرعية، وبين المسائل الخلافية الأصولية، حتى لا تضيع الأصول في ترجمة الاختلافات الفرعية، مع العمل على التسلح بالدليل القاطع والبرهان الصحيح، المستنبط من مصادر التشريع الإسلامي الصحيحة، دون تسرع في الحكم على أهل القبلة بأي من الأحكام المفرقة، كالتكفير أو التفسيق أو رمي المسلم بالشرك، أو اتهامه بالخروج عن جادة الإسلام، مع الالتزام بمبدأ التجرد عن التعصب المذهبي، والابتعاد عن الطائفية الضيقة، وضرورة تحري الحقيقة الإسلامية، وبناء الأحكام على أسس الأدلة الصحيحة).

وخلاصة التعاريف أن مفهوم التقريب يتركب من عنصرين متلازمين هما: نفي التباعد، وتحصيل التقارب، فالعنصر الأول له طابع سلبي، ويتصل بإزالة كل أشكال التباعد بين المذاهب الإسلامية وأتباعها، وكل ما يقع في طريق التباعد، كالجهل والتعصب والتطرف والقطيعة والانغلاق، وكل ما يؤدي إلى هذا التباعد وبكافة الصور والأشكال. والعنصر الثاني له طابع إيجابي، ويتصل بتحصيل كل أشكال التقارب بين المذاهب الإسلامية وأتباعها، وكل ما يقع في طريق التقارب، كالتعارف والتسامح والتواصل والانفتاح والتآلف، وكل ما يؤدي إلى هذا التقارب وبكافة الصور والأشكال.

وقريب من مصطلح (التقريب بين المسلمين) مصطلحات أخرىذكرها دعاة الإصلاح من علماء المسلمين على مر التاريخ الإسلامي، مثل: (الوحدة الإسلامية أو الاتحاد الإسلامي، والأمة الواحدة الإسلامية أو الجماعة الإسلامية، والأخوة الإسلامية أو التآلف بين المسلمين، ....)، وهذه المصطلحات تشترك في المغزى والهدف وهو تقارب المسلمين وتآلفهم، إذا تأملنا فيها وأعطيناها حقها من الدقة والاعتبار فنجد لكل منها مفهوم خاص يختلف عن غيره بقليل أو كثير:

١- الوحدة الإسلامية: أو الاتحاد الاسلامي، عبارة عن وحدة كلمة الأمة اتجاه قضاياها الأساسية وأهدافها المشتركة ووقوفها صفا واحداً أمام الأعداء، وهي الغاية القصوى للمصلحين في العالم الإسلامي.

٢- الأمة الواحدة: أو الجماعة الإسلامية، التي تحمل في جوهرها علاوة على وحدة الكلمة والصمود أمام الأعداء وحدة جماعية إلى جانب الأمم الأخرى يحسن التعبير عنها بالقومية الإسلامية. فالمسلمون لهم جنسية إسلامية، قوامها الإيمان بالله ورسوله والتسليم لهما، ولهم وطن واحد، وسلطان قائم بذاته تحت قيادة واحدة، ولهم ثقافة ملموسة، وتقاليد مرسومة، مصدرها الكتاب والسنة.

> **السمة البارزة للفقيد التسخيري بأنه كان رمزاً في مجال "الوحدة" و"التقريب" بين أتباع أهل البيت (ع) ومسلمي العالم. كان نجماً ساطعاً متميزاً في اجتماعات ومؤتمرات مجمع الفقه الإسلامي - التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي - اتحاد علماء المسلمين، المجمع العالمي لتقريب المذاهب الإسلامية، رابطة العالم الإسلامي، ومئات المؤتمرات الإسلامية الداخلية والخارجية الأخرى.**

٣- الأخوة الإسلامية: هي جعل شرعي ثابت من الله سبحانه بين كل المسلمين في هذا الكون، وبهذه الإخوة يكون المسلم مرتبط بالمسلمين أفراداً ومجاميع برباط متكافئ وحاكم على كل الروابط التي تترتب على الاعتبارات الأخرى التي تنشأ من الأوضاع الأخرى، ولذا يكون المسلمون كياناً واحداً من جميع النواحي وخاصة من الناحية السياسية.

٤- الائتلاف بين المسلمين: هي تعبير عن الجانب العاطفي والتعاطف الروحي بين المسلمين باعتباره تشديدا للعلاقة بينهم وتبادلا للمحبة بين قلوبهم محبة الأخ للأخ، ولا يثبت بمجرده حقا فلا مسؤولية بينهم.

ويرى الفقيد الشيخ التسخيري الاختلاف بين المذاهب هو اختلاف في حقيقته وجوهره راجع الى الاختلاف في تقليد المجتهدين، فكما يوجد اختلاف في الأحكام بين فقيه وآخر عند الشيعة، والأمر نفسه بين فقهاء مذاهب أهل السنة، فالمفروض أن تكون كذلك بين السنة والشيعة، فكل مسلم يتبع في تقليده أحد فقهاء المسلمين من الأموات أو الأحياء، وهذا الأمر يلزم أن يكون طبيعي في المجتمع الإسلامي لا يستوجب التنافر والتباعد والقتال، لأنها أمور مفتعلة لأغراض سياسية. وفي فترة من فترات الماضي كان الاختلاف بين مذاهب أهل السنة اكثر من الاختلاف الموجود بين الشيعة والسنة. وأن الفرق بين المذاهب السنية كانت كثيرة، ولكن عقلاءهم عملوا على إزالة هذه الخلافات فيما بينهم، وعرف بعضهم بعضا بأنهم غير مختلفين حتّى يتفرقوا نحن نشاهد اليوم اتباع هذه المذاهب رغم وجود الاختلافات بينهم ولكنهم لا يشعرون بالاختلاف العملي، فالمالكي في المجتمع الشافعي أو الحنبلي في الوسط الحنفي لا يشعر بالغربة.